The Epidemiological Health Situation in Hijaz through the Secret Flight of the Russian Officer Abdul Aziz Dolchin

Maha al-Yazidi

Abstract

The world knew many diseases and epidemics in it's different ages that have occurred to mankind. and the researcher finds in the history books news of these epidemics. which led to disease and death of thousands of people.

Hijaz was the subject to these epidemics and diseases due to the seasons of Hajj and the congestion that occurs there.

It appeared in Hijaz in the 13th century AH / 19AD. a cholera epidemic with successive waves causing destruction and high rates of deaths which caused wide repercussions in public opinion and the European press which made European countries worry about the fate of their pilgrims and sent their delegates to the Hijaz to explore the situation and write reports on health conditions in details. These reports contain great and valuable information

and it is considered an important source of history .Therefore. the title of this research was chosen. which deals with the report prepared by the Russian officer Abdul Aziz Dolchen through his secret journey to Makkah Al-Mukarramah in 1316 Hijri /1898 AD. Proceeding from this. the study seeks to reveal an important historical aspect related to the epidemics in Hijaz during this century. and their impact on people>s lives .The measures were taken by European and Ottoman countries to limit and reduce their spread. based on the report of Abdel Aziz Dolchen and finally come up with some results and observations

الوضع الصحي الوبائي في الحجاز من خلال الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين 1316هـ/1898م

مـــهـــا بـــنـــت ســـعـــيـــد الـــيـــزيـــدي

أستاذ مشارك، جامعة الجوف، المملكة العربية السعودية

الملخص

عرف العالم في عصوره المختلفة الكثير من الأمراض والأوبئة التي نزلت على البشرية، ويجد الباحث في كتب التاريخ أخبار هذه الأوبئة، التي أدت إلى مرض وموت الألوف من البشر، والحجاز كان عرضة لهذه الأوبئة والأمراض بسبب مواسم الحج وما يحدث فيها من ازدحام، وقد ظهر في الحجاز في القرن 13هـ/ 19م وباء الكوليرا بموجات متعاقبة خلفت دمار ونسب عالية من الوفيات،كان لها أصداء واسعة في الرأي العام والصحافة الأوروبية؛ مما جعل الدول الأوروبية تقلق على مصير حجاجها، وترسل مندوبيها للحجاز لاستطلاع الوضع وكتابة التقارير عن الأوضاع الصحية بالتفصيل، وهذه التقارير تحوي معلومات كبيرة، وقيمة وتعد مصدر مهم من مصادر التاريخ ؛ وعليه تم اختيار عنوان هذا البحث، الذى يتناول التقرير الذى أعده الضابط الروسي عبد العزيز دولتشين من خلال رحلته السرية الى مكة المكرمة عام 1316هـ/ 1898م، وانطلاقاً من ذلك تسعى هذه الدراسة للكشف عن جانب تاريخي مهم يتعلق بالأوبئة في الحجاز خلال هذا القرن،وتأثيرها على حياة الناس، والتدابير التي اتخذتها الدول الأوروبية والدولة العثمانية للحد من انتشارها، بناءً على تقرير عبد العزيز دولتشين،والخروج ببعض النتائج والملاحظات .

الكلمات المفتاحية : الوباء، كوليرا، الحجاز، عبد العزيز دولتشين، مكة المكرمة، الوضع الصحي .

المقدمة

الحمد لله حمداً طيباً مباركاً وصل الله وسلم على أشرف الخلق نبينا محمد بن عبد الله- صلى الله عليه وسلم - و على آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين .

عرف العالم في عصوره المختلفة الكثير من الأمراض والأوبئة التي نزلت على البشرية، ويجد الباحث في كتب التاريخ أخبار هذه الأوبئة، التي أدت إلى مرض وموت الألوف من البشر، والوباء : كما عرفته الموسوعة الطبية الحديثة : "كل مرض يصيب عدداً كبيراً من الناس في منطقة واحدة في مدة قصيرة من الزمن، فإن أصاب المرض عدداً عظيماً من الناس في منطقة جغرافية شاسعة سُمي وباء عالمياً"[1]، وعرفه ابن سينا "فساد جوهر الهواء، الذي هو مادة الروح ومدده"[2]، والحجاز كان عرضة لهذه الأوبئة والأمراض بسبب مواسم الحج وما يحدث فيها من ازدحام، وقد ظهر في الحجاز في القرن13هـ/ 19م وباء الكوليرا[3]، بموجات متعاقبة خلفت دمار ونسب عالية من الوفيات، كان لها أصداء واسعة في الرأي العام والصحافة الأوروبية، خاصة وباء عام 1312هـ/ 1893م، الذي يعد أشدها[4]؛ مما جعل الدول الأوروبية تقلق على مصير حجاجها، وترسل مندوبيها للحجاز لاستطلاع الوضع وكتابة التقارير عن الأوضاع بالتفصيل، وهذه التقارير تحوي معلومات كثيرة وقيمة، وتعد مصدراً مهماً من مصادر التاريخ؛ وعليه تم اختيار عنوان البحث : "الوضع الصحي الوبائي في الحجاز من خلال الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين 1316هـ/ 189م" .

ويتناول هذا البحث التقرير الذي أعده الضابط الروسي عبد العزيز دولتشين من خلال رحلته السرية إلى الحجاز وأداء فريضة الحج عام 1316هـ/ 1898م، وذلك بتكليف من هيئة الأركان العامة للجيش الروسي، وتعود أهمية هذا التقرير :

(1) إلى الفترة الزمنية التي كتب فيها التقرير وانتشار وباء الكوليرا في العالم، ومنع الحج في بعض الدول من بينها روسيا، وإدراج الحجاز ضمن جدول السياسة الدولية .

(2) فيما قدمه التقرير من معلومات مفصلة ودقيقة حول الأوضاع الصحية في الحجاز

والتدابير المتخذة للحد من انتشار الأوبئة .

والهدف العام من هذه الدراسة هو خدمة تاريخ الأمة الإسلامية عامة في مجال التاريخ الاجتماعي، وبيان الوضع الصحي الوبائي في الحجاز، وتأثيره على حياة الناس بصفة خاصة، وأن هذا الموضوع من خلال تقرير الضابط الروسي عبد العزيز دولتشين لم يتم تناوله بصورة مستقلة ومركزة، ونحن في هذا الوقت الحاضر مع ظهور وباء كورونا[5]، في حاجة للبحث في مصادر التاريخ والكتابة عن الأوبئة، لتذكير الأجيال الحاضرة بما قاسته الأجيال السابقة من صعوبة الحياة، والتذكير بأن النعم لا تدوم وبقاءها مرهون بشكر الله عز وجل، وأن الرخاء الذي تعيشه البلدان هو نعمة من الله عزل وجل، والله أعلم بمراده حين الابتلاء بالأمراض والأوبئة، والرجوع إلى الله تعالى والدعاء برفع البلاء والوباء عن العالمين أجمعين .

ويشتمل البحث على عدة مباحث؛ وهي :

-المبحث الأول : التعريف بصاحب الرحلة .

-المبحث الثاني : التعريف بالرحلة وأهميتها .

-المبحث الثالث : الوضع الصحي الوبائي من خلال الرحلة :

- القسم الأول : الأوبئة المنتشرة في القرن 13هـ/ 19م .
- القسم الثاني : أوبئة الحجاز والظروف الصحية والمناخية فيه .
- القسم الثالث : التدابير والاحتياطات التي اتخذتها الدول لمكافحة الوباء وعدم تسربه إليها .
- القسم الرابع : التدابير والإجراءات التي اتخذتها الدولة العثمانية في الحجاز .

– الخاتمة وتتضمن أبرز النتائج .

منهجية البحث

اعتمد البحث على تقرير رحلة عبد العزيز دولتشين، الذي قام بنشره عام 1317هـ/ 1899م، وقد ترجمه إلى اللغة العربية الباحث الروسي نعيم ريزفان عام 1414هـ/ 1994م، وذلك في كتاب سماه (الحج قبل مئة سنة)[6]. وتعتمد منهجية البحث

على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، القائم على قراءة النصوص وعرض وتحليل لتقرير الرحلة بأسلوب علمي واستنباط المعلومات التي تخدم موضوع البحث، ومراعاة ترابط المعلومات وتسلسل الأحداث مع مقارنتها ببعض النصوص الأخرى المتزامنة معها أو السابقة واللاحقة عليها .

المبحث الأول : التعريف بصاحب الرحلة

عبد العزيز دولتشين من أصل روسي تتري، ولد عام 1278هـ/ 1861م، من عائلة ذات نفوذ كبير بين أبناء قوميتها؛ حيث كان والده يعمل في الجيش الروسي برتبة ضابط، وقد تقلد عدة مناصب مهمة تتعلق بإدارة مناطق الأورال الجنوبية في روسيا[7]، تخرج عبد العزيز من مدرسة الإمبراطور بافل العسكرية المتميزة في بطرسبرج، وتعلم اللغات الشرقية[8]، وأتقن اللغة العربية والفارسية والتركية والإنجليزية والفرنسية والروسية[9]؛ مما ساعده في التدرج الوظيفي في السلك العسكري والدبلوماسي، وخدم خمس سنوات في قلعة دينا بورغ [10]، ويعلق ريزفان على شخصية دولتشين بقوله : "ولكن دولتشين بحكم طبعه، لم يسع وراء الوظائف العالية، فإن هذا الضابط الهادي، المتوازن، الرصين، العملي، وحتى المتحذلق نوعاً ما، الذي لا يتميز بالغرور راح بهدء من بطرسبرج إلى وظيفة غير كبيرة في أعماق آسيا الوسطى "[11] .

وقد أقام دولتشين في تلك المنطقة سبع سنوات، استطاع خلالها أن يفهم المشكلات والقضايا التي كانت تواجه سكان تلك الأراضي، وبحكم عمله، تقابل مع رئيس مقاطعة وراء قزوين، ونشأت بينهما علاقة صداقة، ترتب عنها ترشيحه لأداء فريضة الحج، بعد أن أصبح صديقه هذا وزيراً للحربية[12] .

لقد كان تكليفه من هيئة الأركان العامة للجيش الروسي؛ للقيام بمهمة استطلاعية لدولة روسيا لمعرفة ماهية الحج، وهل يشكل الحج خطراً على روسيا ورعاياها، فتقبلها عبد العزيز دولتشين بسعادة، واعتبر ذلك فرصة العمر لأداء فريضة الحج، وخدمة مسلمي روسيا[13] .

تجدر الإشارة إلى أن دولتشين كان رجلاً مسلماً، وقد حالفه الحظ بهذا التكليف،

فقد كانت المهمة فرصة لمساعدة المسلمين الروس في أداء فريضة الحج؛ حيث إنه لم يكن يعرف حاجاتهم وحسب، بل إن مضمون يومياته يدل على أنه كان يعرف عدداً من الشخصيات الإسلامية التي تقيم في روسيا[14] .

ويرى ريزفان أن "دولتشين قد استفاد في عمله من مصادر متنوعة باللغات العربية والأوروبية والتركية، فضلاً عن ملاحظاته ومراقباته الشخصية، وعلاوة على المعلومات المفصلة عن الحج عموماً، بما في ذلك ترجمة آيات من القرآن تتحدث عن الحج إلى مكة، ووصف المراسم والشعائر بالتفصيل"[15] .

بدأ دولتشين يرتب أوضاعه ويستعد للسفر إلى الحجاز وأداء مهمته السرية مع فريضة الحج، وسلك طريقاً "من ورسيا الداخلية وسيبيريا عبر أدويسا وسيباستوبول وباطوم ثم إلى إسطنبول والسويس إلى جدة وينبع"[16]، ويعلق دولتشين على الطرق التي يسلكها الحجاج إلى مكة المكرمة بقوله : "السفر في الطرق الثلاث لا يكلف غالباً، ولكنها تحفل بمصاعب كبيرة، وتتطلب وقتاً كثيراً، والذاهبون في هذا الاتجاه يمضون عادة على خيولهم . . "[17] .

وبعد عودته من الحجاز عام 1317هـ/ 1899م قام بإعداد التقرير المفصل عن رحلته للطباعة، ثم تم تكليفه مهمة أخرى في آسيا الوسطى للاطلاع على نشاط المحاكم الشعبية، وظل بها حتى عام 1319هـ/ 1901م، ثم ترقى إلى وظيفة نقيب في هيئة الأركان العامة، ورئيساً للجنة بناء جامع بطرسبرج[18]، وقد أرسى أسس بنائه عام 1328هـ/ 1910م، وفي عام 1335هـ/ 1916م أصبح دولتشين أمين سر هيئة الأركان العامة برتبة لواء، واصبح رئيس العمل المتعلق بجمع الوثائق بالهيئة، وفي العام التالي تقلد منصب رئيس القسم الآسيوي، ويشير ريزفان "أن الوثائق تدل على أن دولتشين كان في أواخر سنة 1919م يشرف على هيئة أركان القسم الشرقي الخاص لدى أكاديمية الأركان العامة"[19]، ونظراً لجهوده المتواصلة كوفي دولتشين بموجب فرمان من القيصر نيقولاي الثاني بوسام ستانيسلاف، كما منحه أمير بخارى وسام النجمة الذهبي من الدرجة الثالثة، ويشير ريزفان إلى أنه لم يستطع العثور على معلومات تتعلق بمصير عبد العزيز دولتشين لاحقاً[20] .

المبحث الثاني : التعريف بالرحلة وأهميتها

تعد رحلة دولتشين من الرحلات الأوروبية المهمة، التي قدمت إلى الحجاز في القرن 19/ 13م وخدمت أهداف روسيا السياسية والاجتماعية، فكما تم الإشارة إليه أن دولتشين قد خرج في رحلته هذه للقيام بمهمة رسمية سرية لدولة روسيا، التي شهدت في تلك الفترة مرحلة تعاظم ونفوذ قوي في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى، وضم إقليم تركستان إلى أراضيها[21]؛ حيث بلغ عدد المسلمين في روسيا 16 مليون نسمة[22] .

ونظراً لسياسة روسيا تجاه المسلمين قامت الحركات المناهضة ضدها[23]، وقد وصفها دولتشين بقوله : "إيماننا صحيح، ولا ريب في هذا، ولكن لا وجود للعدالة في الدول الإسلامية، يجب البحث عن العدالة عند الروس "[24]، وقد تزامن ذلك مع نشأة الجامعة الإسلامية، التي أنشأها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1293-1326هـ/ 1876-1909م)، واتخذها سلاحاً لمواجهة أطماع الدول الأوروبية[25]، وكانت هذه السياسة الإسلامية سلاحاً للضغط على الدول الأوروبية بإثارة المسلمين الخاضعين لها في كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا[26] .

وتبع ذلك خروج تيار فكري إسلامي على يد المصلح الديني جمال الدين الأفغاني (1255-1315هـ/ 1839-1897م)، وتبعه مجموعة من المفكرين، وهو يعتبر أقوى حركة فكرية عالجت المشكلات الدينية والسياسية في الشرق، ويعد حركة إصلاح ديني وسياسي في الوقت نفسه[27] .

بالإضافة إلى ظهور وباء الكوليرا في الحجاز وانتشاره في أوروبا عام 1246هـ/ 1831م، فكان ضحاياه عدد كبير من الوفيات، تركت أصداء واسعة في الرأي العام والصحافة الأوروبية، ومنع الحج في بعض الدول، وأدرج الحجاز ضمن جدول أعمال السياسة الدولية، وطرحت فكرة ترك الأمور الصحية في الحجاز لهيئة مختلطة[28] .

والجدير بالذكر أن روسيا قد أصدرت قرار وقف الحج في غضون سنوات (1310-1314هـ/ 1892-1896م)، ومنعت المسلمين من رعاياها منعاً باتاً الذهاب

إلى الأماكن المقدسة لاعتبارات صحية، واتخذت الإجراءات المشددة للوقاية من انتشار الأوبئة، وتشكيل لجان لدراسة الأوضاع في مقاطعات روسيا وتقييمها ووضع شروط للحج، وعلى الرغم من ذلك لم يتوقف الحج؛ حيث يخرج الحجاج في مجموعات سرية إلى الحج؛ مما جعل الحج السري يشكل خطراً أكبر ودائم على سلامة الدولة ورعاياها من الناحية الصحية، وللحد من الحج السري تم وضع مشروع القواعد المؤقتة بصدد حج المسلمين [29]، وهي :

1 - يمنح الحجاج المسافرين للحج إلى الحجاز وإيران وبلاد ما بين النهرين جوزات سفر ذات طراز خاص.

2 - وضع نقاط مراقبة صحية في مرافئ البحر الأسود، والحدود البرية.

3 - الخضوع للتطهير الطبي الصحي، ويشار إلى ذلك في جواز الحاج لاطلاع المحافظ الذي يتبع الحاج محافظته، وخضوع منزله للتطهير الصحي .

4 - يُرسل الحاج الذي لم يمر بالمراكز المشار إليها، إلى أقرب مركز للتطهير الصحي .

5 - من يخالف التعليمات يعاقب بالسجن مدة شهر أو غرامة مالية .

6 - يتابع المحافظون حالة الحجاج العائدين، ويتخذون التدابير اللازمة لمراقبة الحجاج طبياً فترة زمنية محددة[30] .

تلك القواعد الصارمة التي اعتمدتها روسيا تشير بوضوح إلى كثرة الأمراض والأوبئة المستوطنة في الحجاز، أو التي تأتي مع الحجاج من مختلف بقاع الأرض، ويوجد ملف محفوظ يضم وثائق وزارة الداخلية الروسية، تختص بالأوبئة والأمراض السائدة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتاريخ هذه الوثائق في سنة 1321هـ/ 1903م[31] .

وتعود أهمية الرحلة من الدافع وراءها، وهو اهتمام روسيا بمسألة الحج؛ نظراً لوجود عدد كبير من المسلمين، الذين ضمت بلادهم وأراضيهم لها، مع تفشي وباء الكوليرا في الحجاز وتدني الوضع الصحي، وضعف الدولة العثمانية، ومما انتهت إليه أحوال العالم الإسلامي؛ نظراً لأهميته الإستراتيجية، وكان يجسد في تلك الفترة مرحلة

صراع بين الدول الكبرى، ورغبة روسيا بأن يكون لها نصيب منها، بالإضافة إلى تبادل الآراء مع حجاج أفغانستان وآسيا الوسطى والهند، الذين كان من المتوقع أن يصلوا إلى مكة المكرمة، وخوفهم من تسريب أفكار الجامعة الإسلامية إلى روسيا من خلال الحج[32].

لقد كان دولتشين مكلفاً عدة مسائل، أهمها :

- تقديم تقرير مفصل عن الأوبئة وحالة الحجاز الصحية .
- الاطلاع على سياسة الدولة العثمانية في الحجاز .
- معرفة توجهات الحجاج القادمين من دول الصراع الدولي في الشرق الأوسط .
- معرفة نوايا دول أوروبا الغربية تجاه الجزيرة العربية والحجاز[33] .

ولذا تعد المعلومات التي دونها دولتشين في تقرير رحلته مصدراً ذا أهمية كبيرة في بيان تاريخ الحجاز وأوضاعه وسكانه وحياتهم المعيشية والاجتماعية[34]، ولاسيما أنه كان شاهد عيان عليهم، كما تضمن التقرير الأوضاع السياسية والإدارية وقوافل الحجاج والمحامل المصرية والسورية، والإجراءات والتدابير الصحية في مدن الحجاز : مكة المكرمة والمدينة المنورة وجدة وينبع والطائف والمشاعر المقدسة وسواحل البحر الأحمر[35] .

المبحث الثالث : الوضع الصحي الوبائي من خلال الرحلة

لقد تضمن تقرير دولتشين الذي أعده عن رحلته السرية إلى الحجاز شرحاً مفصلاً عن الأوضاع الصحية والأوبئة في مدن الحجاز والإجراءات والتدابير المتخذة لمعالجة الوضع والحد من انتشار الأوبئة وتفشيها، وبخاصة خلال مواسم الحج، وانطلاقاً من ذلك يمكن تقسيم ذلك إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : الأوبئة المنتشرة في القرن 13هـ/ 19م

يعتبر وباء الكوليرا من أشهر الأوبئة المنتشرة في هذا القرن؛ حيث ظهرت في أوائل القرن 13هـ/ 19م، واعتبرت وباءً خطيراً تعاقبت على موجات متلاحقة واختفت بعض السنين[36]، وكان أول ظهور للكوليرا بشكل وبائي في الهند عام 1233هـ/ 1817م،

ومركز انتشارها في بنجلاديش السفلى، ثم نيبال الشمالية وبورما وسيام، وظهرت في الصين عام 1237هـ/ 1821م، وبلغت اليابان، ثم عبرت المحيط، وظهرت في مسقط وخليج البصرة وإيران[37]، ومن ميناء مسقط، الذي يعد أهم موانى الخليج وأكبرها، انتقلت الكوليرا في معظم المدن العمانية، ومنها إلى الموانئ الأخرى في الخليج[38] .

وفي عام 1246هـ/ 1831م وصلت أوروبا؛ حيث ظهرت في إنجلترا وروسيا وإيرلندا وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا، وفتكت بهم، وراح ضحيتها آلاف القتلى، ثم بلغت أمريكا[39]، ووصلت مصر[40]، والحجاز[41]، وكان وباء هذا العام أشد فتكاً من الوباء الذي ظهر في الهند؛ فقد أودى بحياة كثير من الحجاج والأوروبيين[42] .

والموت بالكوليرا، أو كما يطلق عليه ميتة الكلب أو الرعب الأزرق، من أبشع التجارب التي يبتلى بها أي شخص، حيث يأتي المرض فجأة، وتبدأ أعراضه بقيء مصحوب بإسهال من دون ضوابط يشبه ماء الأرز الذي يصفي الجسم من السوائل ويتركه جافاً، وعندما يصل إلى هذه المرحلة يصاب الجسم بالتشنجات، مما يجعل المصابين يتألمون ويصرخون من الألم[43]، وقد وصفها دولتشين في تقريره بقوله : "وتميز المرض بالآلام المتواصلة في المعدة المرفقة بدرجة عالية جداً من الحرارة والهذيان "[44] .

كانت الكوليرا تظهر بموجات متفاوتة في الشدة خلال خمسة وثمانين عاماً من تاريخ ظهورها؛ فقد ظهرت نحو اثنتين وعشرين مرة، وأحياناً يفصل بين الوباء والآخر مدة سنوات، وأحياناً أخرى تتعاقب كل عام، ويعد وباء عام 1263هـ/ 1846م وعام 1282هـ/ 1865م وعام 1311هـ/ 1893م من أشدها فتكاً وانتشاراً[45]، وفي ذلك يقول دولتشين : "ولكن وباء سنة 1865م تميز بشدة خاصة، وقد بدأ من الحجاج القادمين من الهند ودام في السنة التالية 1866م، . . . . وعم فيما بعد أوروبا بأسرها، وتميز وباء سنة 1883م بنسبة خارقة العلو من الوفيات "[46] .

وعلى الرغم من اختفاء الكوليرا عام 1313هـ/ 1895م فإنها كانت موجودة في روسيا ومصر واليابان ومكة المكرمة واستمرت إلى عام 1320هـ/ 1902م[47]؛ وتشير الإحصائيات إلى نسب الوفيات التي تسبب بها هذا الوباء، ومنها وباء عام 1263هـ/ 1846م، حيث

توفي خمسة عشر ألف حاج[48]، وفي ما بين عامي 1301هـ/ 1883م – 1305هـ/ 1887م هلك خمسة وعشرون ألفاً من أهل مصر[49]، وكان ضحاياه في أوروبا خمسة وعشرين ألفاً، وإسبانيا مائة وعشرين ألفاً، وخمسمائة ألف في أمريكا[50] .

وبلغ عدد ضحايا وباء عام 1310هـ/ 1892م خارج الهند 378449 نسمة، ومجموع عدد موتى دولة روسيا 267890، وهو ما يقارب 45.8 % من نسبة الضحايا الذين هلكوا بسبب وباء الكوليرا خلال سنوات انتشاره[51]، وفي عام 1311هـ/ 1893م كانت نسبة الضحايا في موسم الحج خمسين ألفاً[52]، وفي عام 1312هـ/ 1894م أودت بحياة سبعين ألفاً من أهل إيران[53]، وقد فقدت بريطانيا على مدى القرن 13هـ/ 19م نحو 130 ألفاً من مواطنيها، وفقدت الهند ما يزيد على 25 مليون شخص[54] .

القسم الثاني : أوبئة الحجاز والظروف الصحية والمناخية فيه

استطاع دولتشين من خلال رحلته السرية أن يقدم صورة شبه كاملة عن الأحوال الصحية في أثناء موسم الحج، حيث شمل تقريره مكة المكرمة وما جاورها من أماكن إقامة الشعائر الدينية المتممة لفريضة الحج في منى وعرفة ومزدلفة، بالإضافة إلى المدينة المنورة وجدة وينبع والطائف وسواحل بحر الأحمر المؤدية إلى الحجاز، وقد تناول الظروف الصحية والمناخية فيها، والأوبئة التي انتشرت في الحجاز خلال القرن 13هـ/ 19م .

ويصف دولتشين الحجاز بقوله : "الحجاز الذي تتجه إليه حركة حج المسلمين إنما هو جزء من الجزيرة العربية، يمتد شريطاً ضيقاً بمحاذاة ساحل البحر الأحمر، واسم الحجاز من فعل حجز، أطلق بحسب تفسير العرب، نظراً لوجود هذه المنطقة بين نجد والبحر الأحمر، وبالنسبة لنا لا يتسم بأهمية غير القسم الجنوبي من الحجاز؛ حيث تقع مدينتا مكة المكرمة والمدينة المنورة المقدستان لدى المسلمين، وبحيث في زمن الحج تبلغ حركة الحجاج أوجها" [55]، ويرى أن المناخ الحجازي في جهة الجنوب الواقعة تحت خط الاستواء، يعد من أحر المناخات في الدنيا؛ بسبب الكتل الحجرية في التربة الرملية والجبال المتلاصقة، وغياب النباتات، ويعلق أن التبخر الشديد ورطوبة الجو الخارقة يجعلان في الحجاز جواً منافياً جداً للصحة[56] .

أما مناخ مكة المكرمة؛ فيرى دولتشين أن مناخها يعتبر صحياً بالنسبة لمن اعتادوا عليه، وفي المدينة المنورة الحرارة أدنى قليلا في الصيف، وفي الشتاء يكون الجو بارداً جداً[57]، ويعتبر دولتشين مناخ جدة سيئاً وغير صحي، نتيجة التبخرات الشديدة من البحر، وينبع أبرد قليلاً مما في المدينة المنورة، ولكنه رطب، وبسبب هذه الرطوبة يسود مرض الحمى في جدة وينبع[58]، وتهب في عموم الحجاز الرياح التي تسمى بالسأم، وذلك في شهري يونيو ويوليو[59].

أما الأمراض الفتاكة والأوبئة التي انتشرت في الحجاز والتي تطرق لها دولتشين؛ فعلى الرغم من أن الدولة العثمانية كانت حريصة على تعيين فريق طبي لمرافقة قوافل الحجاج لمعالجة الحجاج ومنع انتشار الأمراض ومحاصرة الأوبئة، فإن ذلك لم يكن بالأمر الكافي لمنع تسرب الأوبئة وانتشارها، والتي كانت تفد مع الحجاج وتتسبب في وفاة أعداد كبيرة منهم[60]، ويعلق دولتشين على الأوبئة بقوله : "كان وباء الكوليرا ووباء الطاعون[61] معروفين في الجزيرة العربية من سحيق الأزمنة، ويستعمل العرب كلمة الطاعون لتعريف هذا المرض، وكلمة الوباء لتعريف الكوليرا، ولكن هذين المرضين أو الوباءين أختلطا من قبل على ما يبدو . . ، وفي السنوات المائة الأخيرة لم يسمع أحد عن الطاعون في الحجاز، ولكن أوبئة الكوليرا تنشب أحياناً كثيرة في وقت توافد الحجاج إلى الحج، وذلك بالمتوسط مرة كل ثلاث سنوات، فتشعر في بعض السنوات عن نتائج رهيبة إذ تفتك بأكثر من نصف الحجاج وتمتد إلى أماكن ترحل البدو والمجاورة وإلى نقاط أهلة أخرى في الجزيرة العربية "[62] .

والجدير بالذكر أن لفظ الطاعون قد وردت لدى بعض الرحالة الذين سبقوا دولتشين؛ حيث يذكر بوركهارت الذي زار مكة المكرمة عام 1229هـ/ 1814م، أن الطاعون قد انتشر في جدة بعد فترة وجيزة من انتهاء موسم الحج، وانتقال الحجاج إلى جدة في رحلة العودة إلى بلادهم، ومات بسببه صديقه[63]، وربما يقصد بالطاعون مرض الزحار[64]، الذي يصاحبه حمى شديدة؛ حيث قال : "مرض الزحار الذي ينتهي عادة بانتفاخ البطن، وتكون أحياناً مميته "[65]، وقد أشار دولتشين إلى مرض الزحار، وذكر أنه من أكثر الأمراض انتشاراً في الصيف، وبرر سببه بقوله : "وسبب المرض استهلاك الماء من بئر

زمزم بدون اعتدال، وإلى الطعام الثقيل الذي يستجلبه الحجاج معهم من أوطانهم "[66]، وقد وصفه بالوباء؛ حيث قال : "وقد انتشر هذا الوباء في حج عام 1313هـ/ 1895م، حيث أنتقل من قافلة قادمة من المدينة المنورة وبدأ في عرفات وأنتهى في منى "[67]، وقد سبقه إلى وصفه بالوباء بوركهارت؛ حيث قال : "وفي ربيع سنة 1815م انتشر هذا الوباء بعنف شديد "[68] .

ومن الأمراض والأوبئة التي وجدت في الحجاز، مرض أبو الركب، والذي انتشر في مكة المكرمة خلال موسم الحج[69]، وكانت أعراضه الحمى الشديدة، وآلاماً في الركب والمفاصل[70]، وقد وصفه دولتشين بقوله : "إن المرض الأكثر انتشاراً في زمن القيظ وبخاصة بين الحجاج القادمين من الشمال هو (أبو الركب) وهو ضرب من الأنفلونزا "[71] .

وأما الكوليرا؛ فأول ظهور لها في الحجاز، كان عام 1246هـ/ 1831م[72]، ويتفق مع دولتشين مؤرخو مكة المكرمة؛ حيث أشار الدحلان (1232-1304هـ/ 1816-1886م) إلى أول ظهور للوباء في الحجاز بقوله : "توفي بمكة سنة ست وأربعين بمرض الوباء بالإسهال والقيء، وكانت تلك السنة أول السنين التي حدث فيها ذلك الوباء بمكة، ولم يعرفه الناس قبل تلك السنة ثم بعد هذه السنة تكرر مجيئه بمكة مرات)[73]، كما أشار إليه البتنوني الذي زار الحجاز عام 1327هـ/ 1909م، قائلاً : "إن الكوليرا لم تظهر في مكة إلا سنة ست وأربعين ومائتين وألف هجرية "[74]، كذلك ذكر أحمد السباعي في كتابه (تاريخ مكة) : "انتشر وباء فتاك قاتل كان يصيب الناس بالقيء والإسهال ثم يقضي عليهم، وقد ظل يعاود الناس الفينة بعد الأخرى إلى عدة سنوات، كان أهمها 1246هـ)[75]، وأنه في هذا العام وفدت مع حجاج الهند، وتسببت في وفاة الكثير من الحجاج وأهالي مكة المكرمة، حتى غصت الطرقات والأسواق بجثث الموتى وعجز الناس عن دفنهم[76] .

وقد ظهرت في الحجاز ست مرات خفيفة في الأعوام 1246هـ/ 1831م، 1282هـ/ 1865م، ثم ظهرت في موسم الحج عامي 1290هـ/ 1872م، 1294هـ/ 1877م،

وفي الفترة من 1299هـ/ 1881م إلى 1313هـ/ 1895م، وتعد فترة الخراب الأكبر في الحجاز، حيث ظهرت في الأعوام (1299هـ/ 1881م، 1301هـ/ 1883م، 1308هـ/ 189 0م، 1309هـ/ 1891م، 1311هـ/ 1893م، 131هـ/ 1895م "[77].

وتشير الإحصائيات إلى أن وباء عام 1263هـ/ 1846م أودى بحياة خمسة عشر ألف حاج[78]، ووباء عام 1298هـ/ 1880م، تسبب في وفاة أكثر من مائتي حاج[79]، ويعتبر وباء عام 1310هـ/ 1892م أعنف وباء لمرض الكوليرا، مات منه عدد كبير من الحجاج؛ مما اضطرهم أن ينقطعوا عن إتمام المناسك ويغادروا في أول أيام النحر[80]، وكذلك وباء عام 1311هـ/ 1893م، الذي تحدث عنه دولتشين بقوله : "وأخيراً وباء الكوليرا الأخير الذي تسبب هو أيضاً بكثير من الضحايا وقع سنة 1893م (الحج الكبير، يوم الجمعة، 23 حزيران-يونيو)، وقد بدأ بصورة غير ملحوظة عند عرفات، وتفجر في منى نحو مساء اليوم الأول من إقامة الحجاج هناك، وانتقل بسرعة إلى مكة وجدة، ولكن بفضل المحاجر الصحية، لم يتجاوز حدود الحجاز). [81]، وفي عام 1319هـ/ 1901م فتك وباء الكوليرا بأرواح عدد كبير من أهل مكة المكرمة ومن حجاج بيت الله الحرام[82] .

ويصف دولتشين وباء الكوليرا في عدة نصوص، منها : "يستفاد من أقوال جميع من تسنى لي أن أتحدث معهم أن هذه الوباء يبدأ أحياناً عند عرفات ولكن بشكل ضعيف، ولكنه ينشب في أغلب الأحيان في منى ويبلغ هنا قوته القصوى، وقالوا لي إنه إذا سارت جميع الأمور على ما يرام عند الانطلاق إلى عرفات وحتى مساء اليوم الأول من الإقامة في منى فمن الممكن الأمل في أن الوباء لن ينشب هذه السنة "[83]، ويقول : "لا يوجد وباء الكوليرا في الحجاز بصورة مرض دائم، وفي أغلبية الأحوال يلاحظ أن الحجاج الهنود يجلبونه معهم، وأحياناً ينشب بصورة مستقلة تماماً على ما يبدو في منى أو عند عرفات أو لربما في مكة "[84] .

كذلك أشار دولتشين إلى وجود الملاريا[85]، في المدينة المنورة وبشكل خطير جداً، ويعلل السبب بقوله : "ولربما بسبب الفرق الكبير بين حرارة الصيف وحرارة الشتاء أو بسبب وفرة المياه الجوفية في كل مكان أو بسبب انتشار الآبار في البيوت بالذات . . . ، ونسبة الوفيات وبخاصة بين السكان الدخلاء كبيرة جداً، كذلك نسبة الوفيات كبيرة بين

العساكر "[86]، ويرى أن رادة الماء في ينبع قد يسبب ألماً في البطن واعتلالاً في الجسم، وأن عدد الوفيات بسببه كبير جداً؛ حيث يدفن يومياً (6-5) أشخاص من الحجاج، البالغ عددهم ثلاثة آلاف حاج[87]، ويصف الحالة الصحية في ينبع بقوله : "وليس ثمة مكان في الحجاز يواجه فيه الحجاج مثل الظروف المرهقة القائمة في هذه المدينة، وعند عرفات أو منى أو جدة . . . ، وعانى جميع الحجاج أثناء الإقامة في ينبع باختلال المعدة، كان حسب المرء أن يقترب من شاطئ البحر حتى يقتنع بأن الجميع مصابون بالإسهال، وقد ازداد عدد الموتى بشكل ملحوظ "[88]، ويرى دولتشين أن نسبة الوفيات في مكة المكرمة والمدينة المنورة تزداد بسبب مناخهما الحار وغير الصحي، ولكن يشير إلى : "أن الظروف الصحية في المدينة المنورة أفضل مما في مكة المكرمة بفضل توفر بعض المرافق العامة والأهم بفضل عدم تجمع الحجاج في آن واحد بأعداد كبيرة "[89] .

تسببت عدة عوامل في انتشار بعض الأوبئة والأمراض بين الحجاج في مواسم الحج منها، ضعف الوعي الصحي، وقضاء الحاجة بشكل عشوائي، وازدحام الطرقات والمنازل بالحجاج، وضيق الطرق الداخلية بمكة المكرمة[90]، وبعض السلوكيات غير الصحية أو المؤثرة سلباً على الصحة العامة للحجاج خلال موسم الحج، التي كان يقوم بها الحجاج من ذبح الأضاحي، ثم ترك جلودها وأحشائها للتعفن والتحلل في وادي منى والشوارع المحيطة به، فتنبعث منها الروائح وينتشر عليها الذباب، فيؤثر ذلك على صحة الناس بما قد يسببه من تفشي للأمراض[91] .

ويشير دولتشين إلى الأسباب التي تسهم في ظهور وتفشي الأوبئة في الحجاز بقوله : "الحجاج الذين يتوافدون من أقطار بعيدة يشكلون بيئة مستعدة تماماً لتقبل شتى الأمراض فإن السفر المضني الطويل والازدحام الخارق وكمية الهواء الفائقة في البواخر والمآكل السيئة وغير الصالحة والمناخ الحار والرطب واللباس غير المألوف المفرط الخفة – ثوب الإحرام – كل هذا ينهك الجسم ويضعفه إلى أقصى حد، إضافة إلى المناخ الوخيم جداً في جدة أو ينبع حين ينتظرون القافلة ثم السفر منها إلى مكة المكرمة وهو سفر أشد إرهاقاً "[92] .

"إضافة إلى الوضع الصحي الرديء في مكة والطعام اللحمي الوفير لمناسبة العيد وسوء نوعية المشروبات المبيعة في البازار، ودرجة الحرارة العالية جداً، وغياب الرياح، ومئات الآلاف من الجيف المتفسخة والمتعفنة التي تلوث الهواء وتلوث الماء بالتأكيد، كل هذا يخلق بيئة ملائمة جداً لنشوب شتى الأوبئة)[93]، "وهناك عامل آخر ييسر انتشار مختلف الأمراض الوبائية ويزيد من سوء الظروف الصحية في جميع النقاط الآهلة في الحجاز التي يجرى فيها تجمع الحجاج هو النسبة الكبيرة من الحجاج المعدمين – الذين لا يملكون المال – ويعيشون في الطريق كله من جمع الحسنات، وقد قال لي طبيب من الأطباء المحليين عاش طويلاً في مكة وشهد أوبئة كثيرة من أوبئة الكوليرا في منى، أن هذا الوباء يبدأ دائماً من أمثال هؤلاء الحجاج الذين لا مأوى لهم "[94]، ويذكر دولتشين رأي الناس في هذه الأوبئة بقوله : "إن سواد السكان والحجاج فهم يرون في الكوليرا عقاباً من الله وحسب "[95] .

ويفسر دولتشين ظاهرة اشتداد الوباء في الحجاز بقوله : "نشبت أرهب الأوبئة من حيث قوتها في السنوات التي كان يقع فيها الحج الكبير، الذي يجتذب عدد كبيراً جداً من الحجاج، وفي السنوات التي يجرى فيها الحج في فصل القيظ . . . ، وأن وباء الكوليرا ينشب عادة في السنوات التي تكون فيها الجبال التي تحيط بفج منى مكسوة بالعتمة، وبقدر ما تكون العتمة كثيفة، بقدر ما يكون الوباء قوياً، وهذه الظاهرة تنجم، أغلب الظن عن حالة الجو الخاصة، وعن غياب التيارات في الهواء، وعلى هذا الأساس تنبؤوا عند وصولنا إلى منى بأن الحج سيجرى هذه السنة بسلامة؛ الأمر الذي تحقق فعلاً "[96] .

القسم الثالث : التدابير والاحتياطات التي اتخذتها الدول لمكافحة الوباء وعدم تسربه إليها

مع انتشار وباء الكوليرا في الدول في بداية القرن 13هـ/ 19م أقامت تلك الدول نظماً كثيرة داخل أراضيها لمكافحة الكوليرا، وقامت بتأسيس النظم الصحية في بلدانها، وعندما ظهرت في روسيا عام 1239هـ/ 1823م بدأت بتطبيق الحجر الصحي على السفن الروسية القادمة إلى الدولة العثمانية من روسيا، والذي يستغرق عشرة أيام[97]، وحينما ظهر وباء الكوليرا في الحجاز مرة عام 1246هـ/ 1831م[98]، قلقت الدول الأوروبية على

مصير حجاجها، وأدرجت الحجاز ضمن جدول أعمال السياسة الدولية؛ حيث يشير إلى ذلك دولتشين بقوله : "وإذا لم تتخذ تدابير أشد جذرية وحزماً لأجل تنظيم أوضاع الحج الصحية، فإن الحجاز سيشكل دائماً خطراً على البلدان الأخرى"[99]، واعتبر الأطباء الأوروبيون وباء الكوليرا، الذي نشب عام 1262هـ/ 1846م ثاني وباء خطير في الحجاز[100] .

ثم انعقد أول مؤتمر صحة عالمي في باريس عام 1268هـ/ 1851م، نتج عنه فرض تطبيق الدولة العثمانية قوانين الحجر الصحي في سواحل البحر الأحمر[101]، وكان أول حجر صحي تفرضه الدولة العثمانية عام 1246هـ/ 1831م في مضيق البسفور على السفن القادمة من البحر الأسود[102]، وفي مصر أصدر قرار بإنشاء مجلس صحي يشرف على إنشاء محاجر لعزل المرضى والمشتبه فيهم، على أن يكون أعضاؤه جميعاً من الأوروبيين[103]، وحينما نشب وباء الكوليرا في عام 1282هـ/ 1865م في الحجاز وعم فيما بعد بلاد أوروبا بأسرها، دعت فرنسا إلى عقد مؤتمر حول قضية مكافحة الكوليرا في بلاد الشرق، فوافق السلطان العثماني شريطة أن يُعقد في إستانبول[104]، وقرر المؤتمر إسناد حماية أوروبا من الأمراض الوبائية إلى الدولة العثمانية، وتأسيس محاجر صحية في سواحل الحجاز تابعة لإدارة المجلس الصحي في إستانبول، وتشكيل هيئة مهمتها خدمة الضبط الصحي في مكة المكرمة[105]، بالإضافة إلى إنشاء حجر صحي كبير في مضيق باب المندب لفحص الحجاج قبل السماح لسفنهم بدخول البحر[106]، وكان الحجر الصحي على النحو الآتي :

- الحجر الصحي في كمران[107] للقادمين من الهند .
- الحجر الصحي في الطور[108] للقادمين من جهة الجنوب .
- الحجر الصحي في بيروت للقادمين من جهة الشمال .
- الحجر الصحي في جدة وينبع[109] .

ويصف دولتشين الحجر الصحي في كل من كمران والطور وبيروت وجدة وينبع، والظروف الصحية والمناخية فيها، والإجراءات الصحية التي تتم فيها، وفي الحجر

الصحي في كمران يقول : "في السنوات السابقة كان سكان الهند يشكلون قسماً كبيراً من الحجاج، ولكن عددهم انخفض كثيراً في الآونة الأخيرة من جراء وباء الطاعون في بومباي والحجر الصحي الشديد في كمران . . . "[110]، ويشير إلى الإجراءات التي تتم في حجر الطور بقوله : "وفي الحال بدأ إنزال الركاب ونقل أمتعتهم إلى الساحل؛ الأمر الذي استغرق يومين؛ لأنه لا يتسنى في اليوم الواحد تعقيم أكثر من 300 – 400 شخص، وكل الأمتعة الثقيلة الموضوعة في العنبر أنزلوها هي أيضاً من الباخرة . . ، وقبل رسو الزوارق، تصل عربتان حديديتان صغيرتان، واحدة بصورة عربة مستشفى، وعليها ينقلون المرضى إلى مستشفى الحجر الصحي، والآخر من طراز عربة الشحن؛ لأجل نقل الأمتعة إلى مبنى التعقيم، . . وعلى بعد مسافة توجد تخشيبتان مسقوفتان طويلتان؛ لأجل غرض التعقيم، وقربهما سقيفة ينتظر الحجاج تحتها دورهم "[111]، ويشيد دولتشين بإجراءات الحجر الصحي في الطور، حيث يقول : "يجب قول الحق، فإن منظمي المحجر الصحي في الطور قد أنشؤوا هنا نظاماً ظاهراً معيناً . . . "[112] .

ولتغطية تكاليف الحجر الصحي، كان يؤخذ من الحجاج 64 قرشاً مصرياً، والذين لا يملكون المال، يدخلون الحجر الصحي مجاناً بعد الانتهاء من تعقيم الحجاج الذين دفعوا الرسوم، وقد دام الحجر الصحي في الطور أثني عشر يوماً[113]، ويعلق دولتشين على الحجر الصحي في بيروت بقوله: "المرء لا يشعر بأنه محبوس، معزول، ولا يرى أي حرس، وأي خفر، والمجال إلى البحر مفتوح، وبفضل ذلك ينتعم الجميع بالاستحمام الرائع في مياه البحر "[114] .

لقد أدت هذه الإجراءات إلى تقليص عدد الحجاج : حيث برر دولتشين قلة الحجاج في سنة 1316هـ/ 1898م سببها بإجراءات الحجر الصحي، كما أن بعض الحجاج كانوا يفضلون السفر براً، على الرغم من صعوبة الطريق وطول المسافة، وذلك ليتجنبوا المحاجر الصحية[115]؛ تكونت أسخف المفاهيم عند الحجاج عن المحاجر الصحية وما يقام فيها، ويقولون الهدف من الحجر الصحي رغبة الدول غير الإسلامية في تصعيب قدومهم إلى الحجاز[116].

وبحسب الإحصائيات التي أوردها دولتشين في تقرير رحلته خلال عام 1316هـ/ 1898م[117]، يتضح انخفاض عدد الحجاج مقارنة بالأعداد التي أوردتها كتب

الرحلات الأخرى في الأعوام السابقة[118]، وقد اعتمد في تقدير عدد الحجاج على إحصاءات المطوفين لكل قومية، وإحصاءات المحجرين الصحيين في كمران والطور، والتي لا توضح غير عدد العائدين بحراً[119]، كما أن بعض الدول قامت بمنع الحج بين رعاياها بسبب وباء الكوليرا، وفي ذلك يشير دولتشين بقوله : "بسبب منع إعطاء جوازات السفر للحج، وصل في هذه السنة إلى مكة عدد قليل جداً من المسلمين الروس، 450 شخصاً فقط؛ أي زهاء عشر العدد الذي يتوافد، كما تقول الأدلة في السنوات الموقفة "[120].

ولأجل الحد من طبقة الحجاج الذين لا يملكون المال، طبقت حكومة دولة مصر في عام 1316هـ/ 1898م نظاماً خاصاً، يتمثل في أن الحاج الذي يريد الحصول على جواز سفر للحج، عليه أن يعرض تذكرة سفره بالباخرة ذهاباً وإياباً، وأن يحضر كفيلين يؤكدان أن لديه مالاً يكفي لإعالة نفسه في الحجاز، وفي العام التالي، تم تطبيق رسوم الحجر الصحي علاوة على تذاكر السفر بالباخرة[121].

القسم الرابع : التدابير والإجراءات التي اتخذتها الدولة العثمانية في الحجاز

لقد عملت الدولة العثمانية جاهدة للحد من الأوبئة والأمراض في الحجاز؛ فقد فرضت في عام 1276هـ/ 1859م على كل سفينة حجاج تدخل بحار الدولة العثمانية وجود طبيب مرافق، ومنذ صدور قرارات مؤتمر إستانبول الذي عقد عام 1283هـ/ 1866م، وإسناد حماية أوروبا إلى الدولة العثمانية، قامت بعدد كبير من التدابير والإجراءات، التي يعلق عليها دولتشين بقوله : "قد وافقت الحكومة التركية على معظمها بأقصى التردد، وعدم الرغبة، تحت الضغط الخارجي "[122].

وبدأت بإرسال هيئات صحية متعاقبة، وتشكيل لجنة التدابير الصحية[123]، مكونة من رئيس وأربعة أطباء وصيدلي وأربعة حراس، لمراقبة الوضع الصحي في الحجاز، وتقديم المساعدة للحجاج[124]، بالإضافة إلى تحسين وضع مستشفى الغرباء الذي تم إنشاؤه في مكة المكرمة عام 1278هـ/ 1862م[125]، وتزويده بـ ستين سريراً، وتخصيص رواتب للموظفين ابتداءً من شهر ذي الحجة عام 1282هـ/ 1865م[126]، وقد وصفه دولتشين بأن مفروشاته جيدة، ويتلقى فيها المرضى طعاماً جيداً، وعناية جيدة، وكان يعمل فيه طبيبان وصيدلي واحد، ويقدمون الأدوية مجاناً[127]، وكذلك الحال في مستشفى المدينة المنورة[128].

كما أن إنشاء المحاجر الصحية، كان يتم تحت إشراف الدولة العثمانية، التي حرصت على إنشائها على مداخل الحجاز البرية والبحرية، ولم يكن اختيار مكان الحجر الصحي يتم بشكل عشوائي، حيث روعي في ذلك عدة معايير، منها إمكانية رسو السفن في مكان الحجر الصحي بيسر وأمان وسعة الميناء وتوفر المياه، وكان المحجر الصحي في جدة مركزاً لجميع المحاجر التي تقام على السواحل اليمنية والحجازية للبحر الأحمر[129] .

كذلك بدأت الدولة العثمانية في تطبيق نظام يفرض على الحجاج في أثناء ذبح أضاحيهم في الأمكنة المحددة، وطمر جيف الذبائح فيما بعد في حفر مهيأة سلفاً، بالإضافة إلى أنها تقوم في موسم الحج بإرسال ثلاثة أطباء إلى مكة المكرمة وطبيب إلى المدينة المنورة، مع وجود الحجر الصحي فيها، وإرسال طبيبين مع قافلتي الحج السوري والمصري[130] .

وقد حرصت في موسم الحج على تجهيز مستشفى متنقل بما يلزم ليستوعب ثلاثين سريراً، يتوجب فتحه في الخيام إذا تفشى الوباء، ويكون الحجر الصحي المكي متنقلاً مع الحجاج إلى منى وعرفات[131]، كما فرضت على جميع البواخر التي تقوم بنقل الحجاج وجود أطباء لإسعاف المرضى مجاناً، ويكون تحت تصرفهم صيدليات صغيرة[132] .

كذلك قامت الدولة العثمانية بإنشاء مقصورة بخارية؛ لأجل تعقيم ألبسة الحجاج العائدين من منى وأمتعتهم، ويشير إليها دولتشين بقوله : "ولكن مبنى المقصورة الذي انتهى بناؤه للتو دمره البدو في سنة 1985م حين كان الحجاج عند عرفات "[133]، ومن الإجراءات الداخلية التي فرضتها الدولة العثمانية، أنه في عام 1315هـ/ 1897م، حينما اشتد وباء الكوليرا وانتشر بين مدن الحجاز، فرضت الحظر بين مكة المكرمة وجدة ورابغ، ومنع الاختلاط، وكان يتم إرسال المؤن مع الجمالين تحت إشراف العساكر السلطانية، وإيصالها إلى مكان يحدد بجوار مكة المكرمة، مع عدم السماح اختلاطهم مع أي جهة في أثناء الطريق، وإعادة الجمالين من هناك إلى جدة دون أي اختلاط كذلك، وإيصال المؤن إلى الداخل بعد إجراء المعاملة الفنية اللازمة عليها من قبل الموظفين المختصين[134] .

والواقع أن الدولة العثمانية لم تترك جهداً في مكافحة الأوبئة وتحسين الأوضاع الصحية في الحجاز، على الرغم من وجود عدة عوامل حالت في معظم الأحيان دون

تحقيق ذلك، منها :

- ضعف نفوذ الدولة العثمانية في الحجاز، وسوء التنسيق بين الإدارة في الحجاز وإستانبول.
- عدم التزام بعض الحجاج بالقواعد الصحية ومعارضتهم لإجراءات التعقيم .
- جشع بعض شركات النقل البحري ونقلهم أعداد كبيرة تفوق السعة الفعلية للسفن، وتدليس بعض ملاحي السفن على إدارة المحاجر وتقديم شهادات صحية مزورة، تفيد خلوهم من الأمراض المعدية[135] .

هذه التدابير والإجراءات التي اتخذتها الدول الأوروبية والدولة العثمانية لمعالجة قضية وباء الكوليرا في الحجاز وعدم انتشاره أوردها دولتشين في تقريره، ويعلق عليها بقوله : "التدابير المذكورة أعلاه لا تعدّ بالطبع كافية لقيام نظام صحي مُرضٍ إلى هذا الحد أو ذاك في الحجاز"[136]، وقد اختتم تقريره بعدد من التدابير التي يجب -في رأيه- أن تكون في المقام الأول، والعمل على توفيرها في كل من مكة المكرمة والأماكن المقدسة بها منى وعرفة، وجدة، والمدينة المنورة، وينبع، وفي نقاط صعود الحجاج إلى البواخر، ويؤكد فرض رقابة في منتهى الصرامة والدقة على النظافة في هذه الأماكن وفي الأسواق والمأكولات والمشروبات المبيعة[137] .

وتشير دولتشين في تقريره إلى التدابير التي نصح بها صالح صبحي الطبيب المصري، الذي قدم الحجاز بتكليف من دولته خلال عامي 1309هـ/ 1891م، 1312هـ/ 1894م؛ إذ يرى أن الوباء عاقبة لتلوث الهواء من جيف الأغنام المتعفنة، وقد نصح بعدة تدابير لتنظيم قضايا الحج والحجاج، وإجراءات النظافة والصحة العامة في الحجاز[138] .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات حمداً طيباً والصلاة والسلام على نبينا محمد ε وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين . . . وبعد :

من خلال البحث واستقراء النصوص تبين مدى أهمية تقرير الضابط الروسي عبد

العزيز دولتشين في رحلته السرية إلى الحجاز عام 1316هـ/ 1898م، من خلال كتابة تفاصيل دقيقة عن الوضع الصحي الوبائي في الحجاز خلال القرن 13هـ/ 19م، ويمكن تلخيص **عدة نتائج، منها** :

- أن التقرير اشتمل على ذكر الأوبئة المنتشرة في العالم مع تفصيل دقيق لأوبئة الحجاز والظروف الصحية والمناخية فيه، وفي مدن الحجر الصحي على سواحل البحر الأحمر.
- التقرير اشتمل على تفاصيل وباء الكوليرا، والذي ظهر في العالم في عام 1233هـ/ 1817م، واستمر على شكل موجات متفاوتة خلال خمسة وثمانين عاماً؛ حيث ظهرت الكوليرا نحو اثنتين وعشرين مرة، وأحياناً يفصل بين الوباء والآخر عدة سنوات، وأحياناً أخرى تتعاقب كل عام .
- أن التقرير اشتمل على التدابير والإجراءات الصحية التي اتخذتها الدول الأوروبية والدولة العثمانية للحد من انتشار الأوبئة .
- اشتمل التقرير على الأسباب التي تسهم في تفشي الأوبئة وانتشارها في الحجاز .
- اشتمل التقرير على مقترحات دولتشين في وضع تدابير وإجراءات وقائية؛ يمكن العمل بها للحد من انتشار الأوبئة والأمراض .
- اشتمل التقرير على نصائح الطبيب المصري صالح صبحي، المكلف بالذهاب إلى الحجاز خلال عامي 1309هـ/ 1891م، 1312هـ/ 1894م ضمن التدابير للحد من انتشار الوباء، التي تم العمل بها لاحقاً.
- وضح التقرير إجراءات بعض الدول في منع الحج وزيارة المشاعر المقدسة، وانخفاض عدد الحجاج في السنوات التي انتشر بها الوباء .
- تبين من التقرير أن الإجراءات التي استخدمتها الدول قد أسهمت في الحد من انتشار الوباء، ويتضح ذلك من إحصائيات الوفيات خلال سنوات الوباء .

الهوامش والمراجع

(1) المؤلفون من مؤسسة Gdden Press : **الموسوعة الطبية الحديثة**، القاهرة: مؤسسة سجل العرب، د.ت، ج13، ص1894 .

(2) الكرمي، مرعي: **ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون**، بيروت: دار البشائر، 2000م، ص38.

(3) وباء الكوليرا : مرض معوي مُعد، ينشأ بسبب تناول ماء أو طعام له ملوث، يؤدي إلى إسهال خطير، قد يسبب جفافاً شديداً، يؤدي إلى الوفاة إذا لم يعط العلاج اللازم فوراً، وكان أول ظهور له في الهند عام 1233هـ/ 1817م، ومركز انتشاره هو بنجلاديش السفلى، ثم امتد إلى الصين واليابان والخليج ومصر وإيران . فضلي، عباس: **الكوليرا : نشأتها، طرق الوقاية، علاجها**، مصر: دار الطباعة المصرية الحديثة، 1947م، ص5 .

(4) يلذر، جولدن: **الحجر الصحي في الحجاز** 1865–1914م، ترجمة : عبد الرزاق بركات، الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1422ه، ص20–22 .

(5) كورونا : هي سلالة واسعة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للإنسان والحيوان، وتسبب لدى البشر أمراضاً تنفسية تراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد، وقد تسبب فيروس كورونا مرض كوفيد – 19، وهو مرض معد، بدأ تفشيه في مدينة وهان الصينية في ديسمبر 2019م، وقد تحول كوفيد – 19 إلى جائحة تؤثر على العديد من بلدان العالم . أنظر : موقع منظمة الصحة العالمية على الإنترنت (who . int) .

(6) هو كتاب نفيس عنوانه: "الحج قبل مئة سنة : الرحلة السرية للضابط الروسي عبد العزيز دولتشين إلى مكة المكرمة 1898–1899م" ، طبعته دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في بيروت، وقد تضمن الكتاب تقرير رحلة عبد العزيز كاملاً إضافة إلى عدة ملاحق منها : وصف طريق الحج للملا ميرزا عليم طشقندي، والثاني : وصف بوابات كعبة الله والأماكن المقدسة للملا ميرزا نفسه، والثالث : منطقة المسلمين المقدسة في الجزيرة العربية للحاج سليم غيري، والرابع : مكة مدينة المسلمين المقدسة للحاج عيشايف، والخامس: الحج من وجهة نظر روسية لتشير يفانسكي، وختم الملاحق بوثيقة وزارة الداخلية الصادرة في 21 آذار (مارس) 1902م عن الدائرة الطبية، القسم الخاص بالأمراض الوبائية حول الموافقة على مشروع القواعد المؤقتة بصدد حج المسلمين . انظر: ريزفان، نعيم: **الحج قبل مئة سنة (الرحلة السرية للضابط الروسي عبدالعزيز دولتشين إلى مكة** –1898 1899م)، ط3، بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، 1419هـ، ص265–319 .

(7) الحج قبل مئة سنة، ص30 .

(8) الحمدي، صبري: "أخبار الحجاز في كتب الرحلات والوثائق الروسية المنشورة (1879–1907م)" ، **مجلة كلية الآداب**، الجامعة المستنصرية: ع106، ت1435هـ، ص333 .

(9) الحج قبل مئة سنة، ص30–31 .

(10) دينا بورغ : كانت قلعة دينا بورغ واحدة من المراكز المحصنة التي أسسها الفرسان الألمان في ق13م، ثم استولى عليها الروس في نهاية ق 16م إلى ق18م، وهي في الحدود الغربية لروسيا . انظر: الحج قبل مئة

سنة، ص103 .

(11) الحج قبل مئة سنة، ص31 .

(12) الحج قبل مئة سنة، ص31.

(13) الحج قبل مئة سنة، ص31.

(14) الحج قبل مئة سنة، ص31.

(15) الحج قبل مئة سنة، ص32 .

(16) الحج قبل مئة سنة، ص57 .

(17) الحج قبل مئة سنة، ص58 .

(18) الحج قبل مئة سنة، ص35 .

(19) الحج قبل مئة سنة، ص35 .

(20) الحج قبل مئة سنة، ص35 .

(21) الشناوي، عبدالعزيز: **الدولة الإسلامية دولة إسلامية مفترى عليها**، ج2، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 1980م، ص1030-1036-1059 .

(22) الحج قبل مئة سنة، ص7 .

(23) الدولة الإسلامية دولة إسلامية مفترى عليها، ج2، ص1032 ؛ ياغي، إسماعيل: **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث**، الرياض: مكتبة العبيكان، 1416ه، ص198 .

(24) وهذا قول المدرس السيد علي ظاهر المشهور في الحجاز. الحج قبل مئة سنة، ص10.

(25) بيومي، زكريا: **قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين (التحالف الصليبي الماسوني الاستعماري وضربها الاتجاه الإسلامي**، جدة: عالم المعرفة، 1411ه، ص239-252 .

(26) الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص197 .

(27) الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ص198 .

(28) الحجر الصحي في الحجاز 1865-1914م، ص21-22 ؛ الغالبي، سلوى: "وباء الكوليرا في الحجاز حج عام 1300هـ/ 1883م من خلال تقرير القنصلية البريطانية في جدة" ، **مجلة دارة الملك عبد العزيز**، ع4، س38، شوال 1433هـ، ص213-216 .

(29) الحج قبل مئة سنة، ص317-349 .

(30) هذه القواعد المنشورة في وثيقة الداخلية وتاريخها 21 آذار (مارس) 1902م/ 1320ه، وهو مشروع قدم إلى مجلس الوزراء في شخص وزير الداخلية ف. ك . بليغي، وقد نشرها ريزفان في كتابه الحج قبل مئة سنة مع تقرير دولتشين. الحج قبل مئة سنة، ص327-330 .

(31) الحج في كتب الاستشراق الروسي، ص1-2 .

(32) الحج قبل مئة سنة، ص6-15؛ الرحلة السرية لضابط روسي إلى مكة (بغداد: مجلة المسلة (الحدث كما حدث)، 989/ 2015م)، ص1-2 .

(33) الحج في كتب الاستشراق الروسي، ص2 .

(34) أخبار الحجاز في كتب الرحلات والوثائق الروسية المنشورة (1879-1907م)، ص322 .

(35) الحج قبل مئة سنة، ص66-256 .

(36) الحج قبل مئة سنة، ص342–344 .

(37) الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص22–23 .

(38) فارس، محمد: "الكوليرا تجتاح بعض مناطق الخليج عامي 1921 و 1865م" ، **مجلة ملاحق الخليج**، 2/ 11/ 2012م، ص1.

(39) الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص23 .

(40) علام، صلاح: "وباء الكوليرا في مصر عام 1947م والجهود المحلية والدولية في مكافحته" ، **مجلة كلية اللغة العربية**، ع31، ج2، 2012م، ص 1146 .

(41) الحج قبل مئة سنة، ص342 .

(42) الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص23 .

(43) واتس، شلدون: **الأوبئة والتاريخ (المرض والقوة والإمبرالية)**، ترجمة : أحمد محمود، القاهرة : المركز القومي للترجمة، 2010م، ص397–398 .

(44) الحج قبل مئة سنة، ص344 .

(45) الحج قبل مئة سنة، ص342–345 ؛ الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص24–25 ؛ الأوبئة والتاريخ، ص414–415 .

(46) الحج قبل مئة سنة، ص242–243 .

(47) الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص28 .

(48) عز الدين، قاسم: **الكوليرا والطب الوقائي في مكة المكرمة**، إستانبول، 1327هـ، ص30 .

(49) وباء الكوليرا في مصر عام 1947م والجهود المحلية والدولية في مكافحته، ص1144 .

(50) الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص25–28 .

(51) الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص25–26 .

(52) الكوليرا والطب الوقائي في مكة المكرمة، ص80 .

(53) الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص28 .

(54) الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص29 .

(55) الحج قبل مئة سنة، ص105 .

(56) الحج قبل مئة سنة، ص107–108 .

(57) الحج قبل مئة سنة، ص159–169 .

(58) الحج قبل مئة سنة، ص178–179 .

(59) الحج قبل مئة سنة، ص108 .

(60) رمضان، آمال: "الحياة العلمية في مكة (1115–1334هـ/ 1703–1916م)" ، رسالة دكتوراه، **جامعة أم القرى**: 1427ه، ج1، ص113 .

(61) الطاعون : هو بثر و ورم مؤلم جداً يخرج مع حرارة ويسود ما حوله أو يحمر أو يخضر ويحدث معه خفقان القلب والقيء، وعرفه بعضهم بأن الطاعون هو الوباء أو الموت من الوباء، وقيل الطاعون المرض العام الذي يفسد له الهواء وتفسد به الأمزجة والأبدان. انظر: الشاماني، محمد: "الأحكام الفقهية المتعلقة بالأوبئة التي تصيب البشرية : جمعاً ودراسة مقارنة" ، **مجلة جامعة طيبة للآداب والعلوم الإنسانية**، س7، ع18،

1440هـ، ص143–144 .

(62) الحج قبل مئة سنة، ص241 .

(63) بوركهارت، جون لويس :**رحلات إلى شبه الجزيرة العربية**، ترجمة : هتاف عبد الله، بيروت: الانتشار العربي، 2005م، ص220 ؛ مصطفى، دعاء: "الصحة العامة في موسم الحج من خلال رحلة بوركهارت" ، بحث منشور ضمن السجل العلمي للملتقى العلمي الثامن عشر لأبحاث الحج والعمرة والزيارة لعام 1439ه، ص48 .

(64) الزحار أو الدوسنطاريا، هو اضطراب في الأمعاء، يؤدي إلى إسهال شديد، ترافقه الحمى والغثيان، وآلام في البطن . انظر: الحج قبل مئة سنة، ص158 .

(65) رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ص202 .

(66) الحج قبل مئة سنة، ص158–159 .

(67) الحج قبل مئة سنة، ص244 .

(68) رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ص202

(69) الحج قبل مئة سنة، ص158 .

(70) الصباغ، محمد: **تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام**، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكة المكرمة: مكتبة الأسدي، 1424هـ، ج2، ص895 .

(71) الحج قبل مئة سنة، ص158 .

(72) الحج قبل مئة سنة، ص 159 .

(73) الدحلان، أحمد: **خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام**، القاهرة : المطبعة الخيرية، 1305هـ، ص308–309 .

(74) البتنوني، لبيب: **الرحلة الحجازية**، الطائف: مكتبة المعارف، د.ت، ص63 .

(75) السباعي، أحمد: **تاريخ مكة**، ج2، مكة المكرمة: مطابع الصفا، 1420ه، ص519 .

(76) خلاصة الكلام في أمراء البلد الحرام، ص309 .

(77) الحج قبل مئة سنة، ص242–244 .

(78) الكوليرا والطب الوقائي في مكة المكرمة، ص30 .

(79) الحياة العلمية في مكة، ج1، ص114 .

(80) رفيع، محمد: **مكة في القرن الرابع عشر الهجري**، مكة المكرمة: دار مكة، 1401هـ، ص228 .

(81) الحج قبل مئة سنة، ص244 .

(82) مكة في القرن الرابع عشر الهجري، ص228 .

(83) الحج قبل مئة سنة، ص241 .

(84) الحج قبل مئة سنة، ص242 .

(85) الملاريا : مرض معدٍ يتسبب في حدوثه كائن طفيلي، ينتقل عن طريق البعوض، ومن أعراضه ارتفاع درجة حرارة الجسم مع الغثيان والقيء والإسهال . انظر: موقع وزارة الصحة السعودية على الإنترنت (moh.gov.sa) .

(86) الحج قبل مئة سنة، ص169–170 .

(87) الحج قبل مئة سنة، ص178 .

(88) الحج قبل مئة سنة، ص214 .

(89) الحج قبل مئة سنة، ص109–118–166 .

(90) للمزيد انظر : خالد حسين، خدمات الحج ومرافقه في القرن الثالث عشر الهجري من خلال كتابات الرحالة، بحث منشور ضمن السجل العلمي للملتقى العلمي الثامن عشر لأبحاث الحج والعمرة والزيارة لعام 1439ه، ص130 .

(91) الصحة العامة في موسم الحج من خلال رحلة بوركهارت، ص48 .

(92) الحج قبل مئة سنة، ص245 .

(93) الحج قبل مئة سنة، ص245.

(94) الحج قبل مئة سنة، ص251 .

(95) الحج قبل مئة سنة، ص246 .

(96) الحج قبل مئة سنة، ص242 .

(97) الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص28–30 .

(98) الحج قبل مئة سنة، ص242 .

(99) الحج قبل مئة سنة، ص248 .

(100) الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص43–44 .

(101) أوكسنولد، وليم : **الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب تحت الحكم العثماني** 1840–1980م، ترجمة : عبد الرحمن العرابي، جدة : مركز النشر العلمي جامعة الملك عبد العزيز، 1431هـ، ص104 .

(102) الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص30–31 .

(103) وباء الكوليرا في مصر عام 1947م والجهود المحلية والدولية في مكافحته، ص1142 .

(104) الحج قبل مئة سنة، ص243 ؛ الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص46.

(105) الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب، ص107 .

(106) الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص46–47 ؛ الغالبي، سلوى : **وباء الكوليرا في الحجاز حج عام 1300هـ/ 1883م**، ص220 .

(107) كمران : جزيرة تقع في البحر الأحمر إلى الشمال الغربي من ميناء الحديدة . أحمد، إبراهيم : **معجم المدن والقبائل اليمنية**، صنعاء : دار الكلمة، 1985م، ص350 .

(108) الطور : مدينة صغيرة تقع على الساحل الآسيوي في خليج السويس وإلى الجنوب على ساحل البحر. الحج قبل مئة سنة، ص216 .

(109) للاطلاع في تفاصيل المحاجر الصحية . انظر : الحج قبل مئة سنة، ص214–223 .

(110) الحج قبل مئة سنة، ص238 .

(111) الحج قبل مئة سنة، ص217 .

(112) الحج قبل مئة سنة، ص219 .

(113) الحج قبل مئة سنة، ص217 .

(114) الحج قبل مئة سنة، ص222 .

(115) الحج قبل مئة سنة، ص235–240 .

(116) الحج قبل مئة سنة، 216 .

(117) وقد قدرهم حوالي 100000 شخص . انظر : الإحصائية التي أرفقها في التقرير بالتفصيل عن عدد الحجاج من مختلف دول العالم . الحج قبل مئة سنة، ص239–240 .

(118) هوخرونيه، ك. سنوك : **صفحات من تاريخ مكة المكرمة**، ترجمة : علي عودة، ج2، الرياض : دارة الملك عبد العزيز ،1419ه، ص573 ؛ رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ص206–242 .

(119) الحج قبل مئة سنة، ص240 .

(120) الحج قبل مئة سنة، ص195 .

(121) الحج قبل مئة سنة، ص235–236 .

(122) الحج قبل مئة سنة، ص248 .

(123) صابان، سهيل : **مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز في الفترة** 1283–1291ه، مكة والمدينة : مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1425هـ، ص24–30–39 .

(124) الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص48–50؛ الحياة العلمية في مكة، ج1، ص114 .

(125) صبري، أيوب : **موسوعة مرأة الحرمين الشريفين**، ترجمة : محمد حرب، ج3، القاهرة : دار الآفاق العربية، 2004م، ص643–880 .

(126) مراسلات الباب العالي إلى ولاية الحجاز في الفترة 1283–1291هـ، ص39 .

(127) الحج قبل مئة سنة، ص159 .

(128) وقد ورثت الدولة السعودية هذه المكرمة ؛ حيث تقدم المستشفيات والمراكز الصحية في كل من مدن الحجاز كافة الخدمات الطبية في مواسم الحج والعمرة للحجاج والمعتمرين بالمجان . انظر : الحج قبل مئة سنة، ص180 .

(129) الحجر الصحي في الحجاز 1865–1914م، ص125–134 ؛ خدمات الحج ومرافقه في القرن الثالث عشر الهجري من خلال كتابات الرحلة، ص131 .

(130) الحج قبل مئة سنة، ص246 .

(131) الحج قبل مئة سنة، ص247 .

(132) الحج قبل مئة سنة، ص247 .

(133) الحج قبل مئة سنة، ص247 .

(134) وثيقة رقم 14–574، أرشيف رئاسة مجلس الوزراء التركي، إسطنبول، تاريخ 1315/1/2هـ = 1897/6/3م، نشر د. هشام عجيمي .

(135) وباء الكوليرا في الحجاز : حج عام 1300هـ/ 1883م، ص223 .

(136) الحج قبل مئة سنة، ص247 .

(137) للاطلاع على هذه التدابير المقترحة . انظر : الحج قبل مئة سنة، ص247–251 .

(138) انظر هذه التدابير : الحج قبل مئة سنة، ص246–254–255 .